اللحظة البنيوية

قصة صعود نظرية وأفولها

خالد طحطح

في بداية الستينيات من القرن الماضي تنبهت الصحافة الأوربية لبروز عدد من الأفكار بدا أنها تتهجم على مقولة الإحساس بالذات التي سبق أن بَشَّر بها رُوَّاد الوجودية. هل يعني ذلك نشوء تيار جديد؟

لقد نشرت مجلة أدبية فرنسية، في العام 1966م، رسما يصوِّر أربعة من المفكرين: كلود ليفي ستراوس، ورولان بارط، وميشيل فوكو، وجاك لاكان، يفترشون الأرض تحت بعض الأشجار المدارية، وهم يرتدون التنانير والخلاخل التي اعتدنا رؤيتها في الصور الكاريكاتورية التي تُصوّر المتوحشين، ولم يكن هذا الرسم بحاجة إلى تعليق، ولكنه عُرِفَ بعد نشره بعنوان: حفلة غداء البنيويين، ولم يقصد الرسَّام أن يسخر من شخصياته، بل كان يعترف بوصول هؤلاء إلى الحياة الفكرية الفرنسية بوصفهم قوة جديدة ذات شأن كبير.

تبدأ القصة سنة 1916م، في فرع اللسانيات بالذات، مع صدور كتاب محاضرات في الألسنية العامة للسويسري فرديناند دي سوسير، والذي يُعتبر المؤسس للنموذج البنيوي في الدراسات اللغوية؛ وقد أثرت أطروحاته تدريجيا في عدد من التخصصات الأخرى: الأدبية، والاجتماعية، والإنسانية. وكان لافتا الدور الذي قامت به أيضا "حلقة براغ اللسانية" في ثلاثينيات القرن العشرين، والتي تُعتبر واحدة من المدارس الكبرى التي سعت للتعريف بالنظرية.

وحين التقط الأنثروبولوجي والفيلسوف كلود ليفي ستراوس في الأربعينيات البنيوية القائمة على الألسنية، أدخلها في خضم مواجهة مباشرة مع فلسفة الذات الفرنسية في

الستينيات، وهكذا يكون الفرنسيون هم المسؤولون عن شهرتها؛ فقد أضحت البنيوية ذات مسحة فرنسية خالصة في اللحظة التي التحق فيها ليفي ستراوس بمحاضرات رومان جاكوبسون الألسنية عام 1942 بنيويورك؛ إذ تأثر بها تأثرا شديدا، لدرجة أنه حاول جعل تخصصه علميا بصياغته على غرار الألسنية البنيوية(1). وبالفعل فقد أصبحت الانتربولوجيا على يديه علما رئيسيا داخل حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية في القرن العشرين(2). بل يمكن القول بشيء من المبالغة إن ليفي ستراوس هو البنيوية نفسها.

يبدأ الطور الفرنسي للبنيوية إذن مع تكييف ليفي ستراوس لأعمال جاكوبسون مع تخصصه الأنتربولوجي، وأيضا مع محاولة جاك لاكان إدماج بعض المصطلحات السوسيرية في الخمسينيات، بحيث تتوافق مع نزعته الخاصة في التحليل النفسي. وقد شهدت مرحلة الستينيات بروز صيت شخصيات أخرى شهيرة كالمنظر الماركسي لوي ألتوسير ، وكان النص الأساس الذي قدَّمه بشكل مشترك مع إتيان باليبار Etienne Balibar هو كتاب قراءة رأس المال، الذي وفَّق الاقتصاد السياسي الماركسي مع منهجية ليفي–ستراوس البنيوية، إذ أسقطا من مخططهما، في الواقع، الذات الإنسانية والسبب الديالكتيكي والتاريخ الفعلي(3). وأيضا نجد مؤرخ الأفكار ميشيل فوكو؛ الذي تقاطعت أبحاثه بالقضايا التي تُصادفها في ميادين متعددة. ووفق هذا المنظور، شهد حقل التاريخ بدوره تحولا ابستمولوجيا أنجزته مدرسة الحوليات بمناهجها الجديدة، وبالخصوص مع فرناند بروديل الذي يعتبر صاحب ثورة كبرى في كتابة التاريخ، وقد دافع ميشيل فوكو عن إسهامات هذه المدرسة التاريخية وجمعته بها علاقة جيدة(4).

لكن يبقى أهم تحول طرأ على تاريخ البنيوية؛ حين تحولت إلى نظرية في نقد بنية الذات. وتتمثل الفكرة العامة لهذا التوجه الجديد في الصدع بالقول: "إن الذات الإنسانية لم تعد شيئا متماسكا وأساسيا ومحوريا كما يفترض الإنسانيون، وإنما هي نتاج أو أثر جانبي للبنى"(5). وقد تعززت أفكار البنيوية بمجموعة أعمال أنجزت خارج فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية، وبالضبط في البلدان الأنكلوساكسونية والسلافية والجرمانية.

من الملاحظ أن نتائج أبحاث هؤلاء، الذين نُعتوا بالبنيوية، تتملص على مستوى الفكر والبحث من الصورة التقليدية التي سبق أن كَوَّنها الجيل السابق عن الإنسان، فقد تخلصت بشكل

كامل من ميراث متجذر يعود إلى فترة ما قبل القرن التاسع عشر، وهو ميراث ثقيل عُرف بالنزعة المغرقة في الإنسانية؛ إذ اعتبر ميشيل فوكو أن هذه النزعة مفصولة عن العالم التقني والعلمي الذي هو واقعنا، وأنها تشكل الستار الذي تختفي خلفه أكثر الأفكار رجعية، وهو ما أدى إلى اختفاء الإنسان كذات في الفلسفة، مما جعل أفق العلوم الإنسانية يبتعد كل البعد عن النزعة الإنسانية التي اشتهرت بها في السابق.

في مقابل الصعود القوي لما سمي بالتيار البنيوي، الذي كان يبدو متماسكا، بدا واضحا أن جان بول سارتر لم يقدم أي وصفة جديرة بالتقدير، فقد أحيط كتابه نقد العقل الجدلي بصمت كبير. وتعرض لهجومات لاذعة من طرف خصومه؛ فقد نشر ليفي ستراوس عام 1962، الفكر البري، وهو كتاب كرّس فصله السابع والأخير، والمعنون بالتاريخ والجدل، للسجال مع فلسفة سارتر؛ فقد وجه له نقدا مباشرا(6). ولم يتورع رولان بارط بدوره من توجيه سهام نقده في مؤلَّفه درجة الصفر في الكتابة، بصورة أساسية ضد كتاب سارتر ما الأدب؟ وكان يتراءى في الكواليس طيف ميشيل فوكو القوي، حيث نشر عام 1961 تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي(7)، وأتبعه في العام 1963 بكتاب ولادة العيادة(8). ثم سنة 1966 بدراسته اللغوية الكلمات والأشياء، وفيه انتقد النظريات التي تؤيد مفهوم الإنسان باعتباره فردا ذو استقلالية بدلا من إعطاء الأسبقية لمفاهيم الشروط البنيوية(9)، وقد تعددت بعد ذلك أعمال واهتمامات هذا الأخير؛ فقد جمعت أبحاثه ما بين الفلسفي والفكري والتاريخي والنفسي، ويبقى الحوار المعركة الذي دار بينه وبين سارتر شاهدا على نهاية هيمنة حقبة الوجودية(10)، وبالرغم من عدم وجود أي صلة بينه وبين ليفي ستراوس، فإن الصحافة أطلقت اسم البنيوية من غير معايير على أفكارهما، مضافا إليهما رولان بارط وجاك لاكان كما تقدم، وبذلك صار للتيار اسم ورموز، وتحولت البنيوية إلى شعار خلقوا منه موضة فكرية شاعت شيوعا تجاوز حدود المعقول، حيث تمت إزاحة الفلسفات التي تناولت العالم الإنساني كوجودية سارتر، التي غذت فكرة هامشية، إلا أن عمر البنيوية الإعلامي كان قصيرا، فمنذ عام 1968 أصبحت سمعتها سيئة، وراحت تُتَّهم بتصلبها وأخذت تُستبعد لحساب أفكار جديدة(11).

لقد تولدت البنيوية كـــحركة فكرية نتيجة أوضاع ثقافية محددة، فظلت مزدهرة مع بقاء هذه الأوضاع، وتراجعت بتراجعها، فهي لم تستطع أن تقنع معتنقيها بالتخلي الكامل عن نزعتهم الإنسانية، وبتحولها إلى إيديولوجية ذات نزعة متعالية، تلغي التاريخ وتغترب بالإنسان في سجون "النسق" و"البنية" و"النظام"، فقد أصبحت هدفا مشروعا لهجوم الطلاب عليها، ففي تمردهم الذي هز أكان الحياة الفرنسية كلها، خلال أحداث مايو 1968، وبقدر ما رفع الراديكاليون من هؤلاء الطلاب –ضمن شعارات تمردهم- شعارا من قبيل "فلتسقط البنيوية" فإن البنيويين أخذوا يعيدون النظر في مواقفهم، بل انفرط عقدهم على نحو لم يبق مخلصا للأفكار البنيوية الأولى سوى كلود ليفي ستراوس، الأب الروحي للحركة كلها(12).

شكَّل حدث الانتفاضة الطلابية، التي انطلقت من المؤسسات التعليمية الجامعية والثانوية(13)، حيث تُعَشِّشُ أفكار تيارات "تُجسّد راديكالية الاحتجاج"(14)، مفاجأة غير متوقعة. فالغالب، أن حركات الاحتجاج كانت تنطلق من المؤسسات العمالية ذات التأطير النقابي. لقد اخترقت الحركة الاحتجاجية الجديدة الشوارع العامة، انطلاقا من أسوار الجامعات، وانضم إليها بعدئذ العمال، والعديد من الفلاسفة والمثقفين، أمثال: وجيل دولوز،وفيليكس غاتاري ، وبول سارتر، وايفي مونتان، وألان توران(15)، في حين غاب ميشيل فوكو(16).

إن اللحظة البنيوية، برغم قصرها، كانت لحظة فارقة في عصرها؛ فقد أثرت في مختلف العلوم الاجتماعية، وحققت نجاحا باهرا، بما قدمته من تجديد في أدوات التحليل، ولذا يجب أن نضع كلود ليفي ستراوس وأعماله في سياق ثورة هامة مسَّت تيارات كبرى في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية، إلا أنه مع أواخر السبعينيات، بدأ كلّ شيء في الاختلال، فقد قَوِيَ الشعور بنهاية حقبة من الزّمن؛ فالأفكار التي ظهرت مع بداية الثّمانينيات شكَّلت ما وُسِمَ بأنّه فكر ما بعد بنيوي(17)، وهو مخاض لجيل جديد من المثقفين المدافعين عن عودة الفرد(18)، متجاوزين بذلك النزعة البنيوية المتشددة التي رسَّخت في الأذهان فكرة إبعاد الإدراك الواعي للفرد من خلال التركيز على المجتمع، كما تم إعادة ربط الصّلات الحميمة مرة أخرى بين الفلسفة والعلوم الإنسانية.

كانت الذات الغائب الكبير في الإشكاليات الفلسفية والتاريخية واللغوية إبان السنوات البنيوية، إذ اعتبرت بمثابة فرضية مزعجة وبلا فائدة، وجرى تقديم الذات قربانا في حقل العلوم الإنسانية(19)، وتم اعتبار فكرة الفرد فكرة غير مجدية وجب التخلص منها والقطع مع مواضيعها، وقد كان ذلك صعبا للغاية على المستوى العملي، للمقاومة التي أبداها رموز من الجيل القديم، وعلى رأسهم الفيلسوفان جون بول سارتر وبول ريكور.

هذه العودة القوية لفلسفة الذات الإنسانية، التي كان يبدو أنها ماتت على يد البنيوية، تعبر عن تحول ابستمولوجي عميق؛ فقد أُعيد الاعتبار لنظريات الفعل، ولدور الفرد، بطريقة قوية، وضمن تصور شمولي جديد(20).

الذات المقصاة والمذمومة خلال الفترة البنيوية أصبحت تفصح عن نفسها في عدة ميادين؛ في الأنتربولوجيا، والتحليل النفسي، والأدب، وعلم الاجتماع؛ فقد خَفَّتْ حِدَّةُ الاستخفاف بالنزعة الإنسانية ونفي الذات حتى من طرف أولئك الذين أعلنوا سابقا موت الإنسان؛ فميشال فوكو في تاريخ الجنسانية (وهو آخر أعماله المنشورة) ابتعد عن المضامين المناهضة للذات وللنزعة الإنسانية، وفي هذا الكتاب يتجلى الاهتمام بالفاعل وبالمهمش. وكان فوكو قد انضم بالفعل في نهاية مطافه إلى التيار المنادي بالعودة إلى الذات الذي بدأ ينتعش أخيرا في الفلسفة الفرنسية(21).

بدأ أفول اللحظة البنيوية يظهر للعيان بعد أحداث ماي 68، ليعقب ذلك بروز تشكيلات مختلفة ومتنوعة عُرفت بفلسفات ما بعد البنيوية، والتي انتشرت في أوربا وأمريكا، دون أن يجمعها إطار مشترك(22). لقد تهاوى المشروع البنيوي الذي كان يبدوا متينا بسرعة مذهلة؛ فمع عام 1968 بدأ ينهار الصرح المتعالي للنظرية تدريجيا، فما الذي جعل المرحلة البنيوية في التاريخ الفرنسي لحظة قصيرة؟

كانت المغامرة الكبرى التي خاضتها البنيوية في فرنسا هي مواجهتها المباشرة مع الفلسفة الفرنسية، والمقصود الظاهراتية والوجودية المتجذرة، مما خلق لها نوعا من الورطة لم تستطع أن تتخلص من آثارها السلبية على توجهات المدرسة ككل، فالمعركة الفكرية التي انتصر فيها البنيويون مرحليا انتهت إلى الفشل الذريع في الأخير، إذ أن الجبلين الألمانيين ادموند هوسرل

ومارتن هايدغر كانا صعبي الانزياح التام إلى الهامش، فالفيلسوف جاك دريدا(23)، الذي لم يعلن في يوم من الأيام انتمائه إلى المدرسة البنيوية، أطلق سهامه الحادة اتجاه مشروعها، وقد قدَّم منهجا فعَّالا للنقد من داخل التراث الفرعي للظاهراتية (الفينومينولوجيا)، ولذا يمكن وسمه بفيلسوف ما بعد الظاهراتية بدلا من التسمية الرائجة ما بعد البنيوية(24)، ونفس الأمر ينطبق على الفيلسوف بول ريكور الذي دخل منذ البداية في سجال طويل مع المنهج البنيوي في صورته اللسانية، وفي تطبيقاته في مجال الأنتربولوجيا، إذ كان خصما عنيدا لليفي ستراوس. أما في مجال التحليل النفسي، الذي تمت فيه إعادة قراءة فرويد من قبل جاك لاكان، فلم يمض بعيدا، إذ اصطدمت آراؤه بمواقف جيل دولوز وفيليكس غاتاري، اللذان عبَّرا عنها في كتابهما المشترك ضد أوديب، حيث يبدوان فيه نيتشويين وما بعد لا كانيين. وحتى جورج دوميزيل باعتراف ليفي ستراوس استعمل دائما منهجا لم يرغب في تسميته بنائيا، كما أنه استعمله لغايات خاصة. وليفي ستراوس نفسه يمكن اعتباره بنيويا ولا بنيويا في الوقت ذاته، لأنه ينتمي إلى اجتهاد خاص به، يحدد معنى البنية والبناء والتحول، فقد استلهم النموذج النظري من فرويد وماركس، وتأثر بايمانويل كانت ووليام لايبنتس وآخرين، وأعطى لمعارفه صياغة تُردُّ إليه قبل أن تستدعي آخرين. ولهذا كان بنيويا، دون أن يدري كما صرح لياكبسون، الذي تعاون معه ذات مرة. لم يكن غريبا، والحالة هذه، ألا يرى قرابة بينه وبين بنيويين آخرين معاصرين له، وهو ما صرح به في كتاب من قريب من بعيد، فهو لم يُقاسم ميشال فوكو منظوره للمعرفة، ولم يقتنع أبدا بفرضيات جاك لاكان، ولم ينظر إلى أعمال رولان بارت بإعجاب كبير. فإن نسب ذاته إلى أحد، جاء باسم الفيلسوف الألماني ايمانويل كانت، معترفا أنه "كانتي مبتذل". بل أنه لا يمنع نفسه، وهو يرى إلى النقد الأدبي البنيوي، عن استعمال كلمات قاسية يخالطها الاحتقار، كأن يتحدث عن "الاحتيال الفكري" و"الاستخدام التعسفي" لكلمة بنية وعن "بنيوية مزعومة" ليست في الواقع سوى "حجة للرداءة". أما التوسير وفوكو، فلم يكونا بنيويين بالمعنى الضيق للكلمة، فالأول مزج ماركسيته بالنظرية البنيوية، والثاني كان مؤرخ أفكار مختلف؛ فقد حدَّدَ موقعه داخل تاريخ العلم، أو تاريخ المعارف، كما عبَّر بنفسه، ولذا يمكن اعتباره نيتشويا وما بعد ماركسيا(25). ونقف مع بارط في كتابه موت المؤلف، وقد أصبح ما بعد بنيوي، فقد اقتنع

أن النص هو "فضاء متعدد الأبعاد تمتزج فيه وتتضارب العديد من الكتابات وليس بينها ما هو أصلي"(26).

لقد شكلت العودة إلى فريديريك نيتشه بكل تأكيد، لحظة حيوية وفاتنة داخل المشهد الفلسفي الفرنسي؛ فقد حظيت أفكاره بحفاوة كبرى لدى مختلف التيارات الفرنسية الفلسفية، خصوصا لدى ميشال فوكو(27)، وجيل دولوز كما سبق(28)، حيث كان لقاؤهما بأعماله لحظة فارقة في تاريخ الفلسفة المعاصرة، تجلت، لا في استعارة القاموس النيتشوي فقط، وإنما في تشغيل آليات جينيالوجية فاعلة وجدية، في قراءات أدت إلى استكمال المشروع الذي خطه(29).

الهوامش

1-اعتقاد هذه النظريات أنها وضعت الأساس العلمي محض ادعاء، فمن المتفق عليه اليوم أن نتخلى عن كل أمل بقيام نظريات علمية في الثقافة، وكذلك عن أي محاولة ترمي إلى تحقيق ذلك، فلاماركس وضع أساسا علميا للاشتراكية، ولا فرويد بالنسبة لعلم النفس، ولا سوسير بالنسبة لدراسة الدواويل. راجع انتقادات ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، أسس النظرية الأدبية الحديثة1، ترجمة ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، مصر، الطبعة الأولى، 2014.ص25

2-وإذا كان المنهج البنيوي إيجابيا في مجال الأنثروبولوجيا، إذ سمح بفهم أفضل لنسق القرابة المعقد أو لدلالة الأسطورة في المجتمعات الموغلة في القدم، فإنه محفوف بالمخاطر في ميادين أخرى وبالخصوص في النقد الأدبي، راجع: ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، م س، ص13

3-كريس هان وكيت هارت، الأنتربولوجيا الاقتصادية: التاريخ والإثنوغرافيا والنقد، ترجمة عبد الله فاضل، مراجعة فايز الصياغ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى 2014، بيروت، ص10

4-رصد هذا الفيلسوف في كتابه حفريات المعرفة ملامح الثورة الجديدة في كتابة التاريخ القائمة على الانفصالية، وتعدد مستويات التحليل، وإعادة بناء مقولة الحدث ذاتها.

5-ماتت الذات الإنسانية بشكل نهائي على يد البنيوية خلال هيمنتها على حقل المعرفة. راجع: ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية، م س، ص32.

6-كلود ليفي ستراوس، الفكر البري، ترجمة وتعليق، نظير جاهل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، 2007، من ص293 إلى ص322.

7-ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الطيعة الأولى، 2006.

8-يعد كتاب العيادة ثاني كتب الفيلسوف ميشيل فوكو، وهو أشبه بحفريات في التشخيص الطبي، يتعقب فيه آثار تطور مهنة الطب، و"العيادة".

9-غنار سكيربك، نلز غيلجي، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، الترجمة الأولى، 2012، ص 956.

10-حتى لقد شاعت عبارة: حقبة سارتر وميرلوبونتي مرت على جسد ميشيل فوكو".

11–كاترين كليمان، كلود ليفي ستراوس، ترجمة محمد علي مقلد، سلسلة نصوص، الكتاب الجديد، الطبعة الأولى 2008، بيروت، لبنان، ص.47.

12–من الملاحظ أن أغلب كتابات المحسوبين على البنيوية بدأت بالفعل في التغير بعد حدث 1968، ولا يقتصر الأمر على ألتوسير وفوكو اللذان حرصا على نفي صلتهما ببنيوية ليفي ستراوس، بل يتجاوزهما إلى رولان بارت الذي أعلن عام 1970 أنه هجر الطريقة التي كان يتبعها عام 1966 عندما كتب مدخله الشهير إلى "التحليل البنيوي للقص". راجع: إديث كريزويل، عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الطبعة الأولى، 1993، الكويت، ص9 10 من تقديم المترجم.

13–لقد انطلقت الثورة الطلابية من جامعتي نانتير والسوربون؛ إذ تحول حدث توقيف طالب وعرضه على المجلس التأديبي للجامعة، إلى شرارة انتفاضة غير مسبوقة، انخرط فيها، إلى جانب الطلبة، العمال ورجال الفكر، فالشوارع امتلأت بما قدره خمسة ملايين محتجا، أي ما يعادل نسبة 20 في المائة من الشعب الفرنسي آنذاك، ولهذا اعتبرها ألتوسير "أكبر إضراب في تاريخ الرأسمال "، وقد رُفعت خلالها شعارات جيل جديد من الرافضين لكل شيء، للاستبداد، للرأسمالية، للشيوعية التقليدية، للمؤسسات. إنها ثورة شعار "المنع ممنوع".

14–ادغار موران. "ملاحظات منهجية لتفسير الانتفاضات الطلابية في بداية 1968"، ترجمة حسين مهدوي، مجلة اختلاف، عدد خاص الطلبة والسياسة، العدد 6/7–1993، ص79.

15–أصدر الان توران، الذي عاين الأحداث عن قرب، كتابيه:"الشيوعية الطوباوية حركة مايو 1968" و"مجتمع ما بعد الصناعة". الكتاب الأول تحليلي وصفي للأحداث، أما الثاني، فتفسيري. تصحبه توقعات خاصة بمستقبل المجتمعات الحديثة. راجع: إديث كريزويل.عصر البنيوية. ترجمة جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الطبعة الأولى، الكويت، 1993، ص 168.

16–في حوار لميشيل فوكو مع مجلة الأزمنة الحديثة سئل عن غيابه عن أحداث مايو 68 فأجاب بأنه كان غائبا بحكم ضرورة بقائه في تونس لأسباب مهنية، وأضاف قائلا بأنه وإن لم يعايش أحداث أيار الفرنسية بكل أجزائها، فإنه كان حاضرا في أحداث مارس 1966 بتونس عندما خرج الطلبة إلى الشوارع، ويقول فوكو أن الفرق بين الحدثين شاسع، لأن الطالب الفرنسي في حركة مايو 68 يعرف حق المعرفة أنه في آخر اليوم سيعود سالما إلى منزله، بينما لم تكن تلك هي حالة الطالب التونسي، الذي هو عرضة إلى كل وسائل القمع": راجع: فتحي التريكي، "اللحظة التونسية في فلسفة ميشيل فوكو"، الفلسفة في الوطن العربي في مائة عام، أعمال الندوة الفلسفية الثانية عشر التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة، مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية الفلسفية المصرية، الطبعة الأولى، بيروت، 2002.

17–ما بعد البنيوية مرادفة لأعمال جاك دريدا، فالعلامة بالنسبة لسوسير تكون ذات معنى بحسب موقعها في نظام من الاختلافات، غير أن دريدا يضيف لهذا فكرة أن المعنى أيضا مؤجل دائما ولا يكون قط حاضرا بالكامل، دائما حاضر وغائب على السواء،وقد ابتكر دريدا كلمة جديدة لوصف الطبيعة المنقسمة للعلامة وهي différance التي تعني معا التأجيل والاختلاف. للمزيد حول هذا الموضوع، يراجع: جون ستوري، النظرية الثقافية والثقافة الشعبية، من ص 205 إلى ص.207

18–ازدهرت تيمات "العودة إلى" حتى صارت صيغة متداولة لعدد من الكتابات والمقالات، ولم تسلم حتى واجهات المجلات والجرائد من هذه الموضة العابرة، فضروب من العناوين من قبيل: العودة إلى ماركس، إلى فرويد، إلى نيتشه، إلى الحدث، إلى البيوغرافيا، إلى السرد، إلى الرواية...وغيرها من ضروب لا نهائية من العودات تزدهر في فترات الأزمات بالخصوص، وتختفي فجأة في صخب المجتمع الذي يعاني من حياة السرعة والركض، فمنذ ثمانينيات القرن العشرين، وفي ظل انتهاء العقود المجيدة من سنوات هيمنة البنيوية ومدرسة الحوليات، انتشرت موجة كبيرة من هذه التيمات.

19–باسكال جوتشيل وايمانويل لواييه، تاريخ فرنسا الثقافي، من العصر الجميل إلى أيامنا هذه، ترجمة مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، مصر، الطبعة الأولى 2011، ص.416

20–بشأن عودة الفاعل التاريخي، يراجع: خالد طحطح، البيوغرافيا والتاريخ، دار توبقال، الدار البيضاء، بدعم من وزارة الثقافة المغربية، الطبعة الأولى، 2014، من ص 49 إلى ص 68.

21–عبد الرزاق الدواي. موت الإنسان: هايدغر، ليفي ستراوس، ميشال فوكو. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة1، 1992، ص129.

22–ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، م س، ص.135

23–في مطلع السبعينيات ومع بداية أفول البنيوية في فرنسا، ظهرت إلى الوجود حركة جديدة مضادة تزعمها جاك دريدا الذي انطلق، ابتداء، من مبدأ تدمير البنيوية، راجع: إديث كريزويل، عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، م س، من تقديم المترجم، ص10.

24–ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، م س، ص.34

25–نرى في فوكو نقيضا مطلقا لأستاذه التوسير، فقد رأى التوسير أن ماركس افتتح قارة علم التاريخ العظيمة مجترحا قطيعة أبستمولوجيا مع كل الكتابة التاريخية السابقة، أما فوكو فلم يرفض الماركسية وحسب، وانما أي شكل من أشكال علم التاريخ المنظم. راجع: ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، م س ص187، .191

26–جون ستوري، النظرية الثقافية والثقافة الشعبية،م س، ص204.

27–تاريخية ميشيل فوكو تؤسس لفلسفة جديدة للممارسة تستلهم روحها من نيتشه، وتقطع بصفة حاسمة مع رواسب الهيغيلية والماركسية وفلسفات الوعي، وهذا ما نستشفه من دراساته حول تاريخ العيادة، وتاريخ الجنون، وتاريخ السجن والجنسانية. راجع: السيد ولد اباه. التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو. م.س. من ص77 إلى ص.79

28–يمثل جيل دولوز، بالإضافة إلى ميشال فوكو، أحد الرموز الكبرى للنتشوية الفرنسية المعاصرة، فقد قام بتأويل فلسفة نيتشه التي عدها النقيض التام للهيغيلية وللفرويدية. وفي هذه النقطة يختلف دولوز عن فوكو؛ فهذا الأخير حاول البحث في نوع الروابط التي تجمع نيتشه بماركس وفرويد. راجع عادل حدجامي. فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف. دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 2012، ص 55، .56

29–عبد الرزاق بلعقروز "في استمداد فوكو من نيتشه تجنب إسقاط المعنى على المعرفة التاريخية" م.س، ص208.

30–بشأن حدث مايو ودلالاته ومواقف المثقفين الفرنسيين منه، يراجع: خالد طحطح، عودة الحدث التاريخي، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، من ص 113 إلى ص 117.

31– للمزيد عن البنيوية يراجع: –عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، العدد 232، أبريل 1998.

François Dosse. Structuralisme. pp883-893.Historiographies.II. Concepts et débats. Folio -
De la structure au sujet. L'humanisation des sciences . François Dosse.histoire, Gallimard.2010/
humaines? www.sienceshumaines.com/de-la-structure-au-sujet-l-humanisation-des-sciences-
.humaines_fr_11738.html. 2011

صدر حديثا

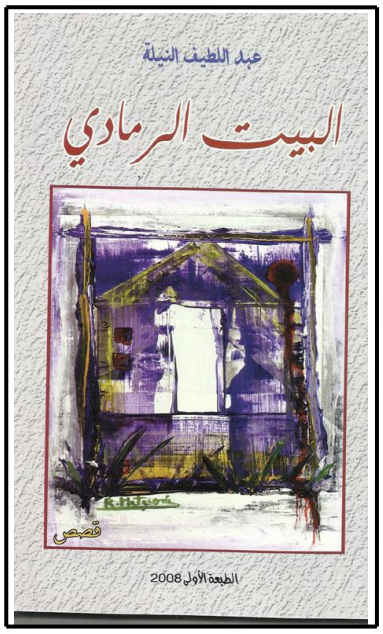
عبد اللطيف النبيلة
البيت الرمادي
قصص
الطبعة الأولى 2008

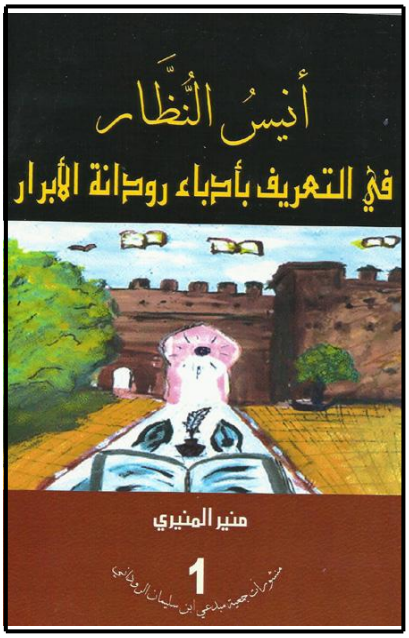
أنيسُ النُّظَّار
في التعريف بأدباء رودانة الأبرار
منير المنيري
1